الفصل السادس

التربية المدرسية العالية

obeikandl.com

obeikandl.com

لقد حث الاسلام على التعليم فأقبل المسلمون عليه وانتشر فى المساجد والجوامع فى جميع البلاد الاسلامية وكثرت الحلقات التعليمية فيها بجانب الصلاة والعبادة وأحس المسلمون أنهم حقا فى حاجة الى انشاء مدارس علمية ومعاهد عالية كى لا يحدث ضجيج فى المساجد الضيقة فى أثناء الدرس بسبب الجدل والمناقشة فى الدروس ويرى المقريزى أن المدارس لم تعرف فى عهد الصحابة والتابعين ولم تنشأ الا فى نهاية القرن الرابع الهجرى وأن أهل نيسابور أول من بنوا مدرسة فى الاسلام وسموها المدرسة البيهقية ٠

وقد تسابق الخلفاء والمسلمون فى انشاء المدارس الاسلامية العالية وأعدوها اعدادا كاملا وبنوا فى كل مدرسة كبيرة ايوانا ؛ أى قاعة متسعة للمحاضرات بحيث تسع عددا كبيرا من الطلبة المتشوقين لطلب العلم وقسما داخليا ليقيم فيه الطلاب ويتفرغوا للدراسة ومساكن خاصة بالمدرسين والعلماء الذين يقومون بالتدريس وأنشئوا بها جميع وسائل الراحة من المرافق ودورات المياه والمطبخ الذى تطهى فيه الأطعمة والمطعم الذى يتناولون فيه طعامهم ٠

وكان لكل مدرسة ايراد خاص يؤخذ من الأوقاف التى وقفت على المدرسة للانفاق على طلبتها وأساتذتها ٠

وقد عنيت تلك المدارس بدراسة الدين الاسلامى والفقه على المذاهب السنية الاربعة والتوحيد واللغة العربية ونشر العلوم والمعارف وتقوية مذهب أهل السنة ومقاومة أهل الشيعة وهم أنصار سيدنا على ٠ وهنا نذكر أهم تلك المدارس العالية :

١ ـ المدرسة النظالية ببغداد :

حينما استولى السلاجقة على بغداد وعلى أغلب العالم الاسلامى ظهر اسم الوزير نظام الملك الذى كان السلطان الحقيقى للدولة الأولى للسلاجقة٠ وكان هو نفسه فقيها وعالما (١) فكانت تعقد المناظرات فى حضرته ٠ وقد خرج له الغزالى مرة وناظر الأئمة والعلماء فى مجلسه وقهر الخصوم وظهر كلامه على الجميع فولاه نظام الملك التدريس بمدرسة من المدارس العالية

(١) طبقات الشافعية

الشهيرة وهى المدرسة النظامية ببغداد التى أنشأها ذلك الوزير العظيم نظام الملك • وقد بدىء فى بنائها سنة ٤٥٧ هـ وتم بناؤها سنة ٤٥٩ هـ وتقع على شاطىء نهر دجلة • وقد أنشأ كثيرا من المدارس النظامية التى نسبت اليه المدرسة النظامية ببغداد هى المدرسة الأولى منها • وتعد حقا من المدارس العظيمة التى يحق لنا أن نفخر بهـا • وعين لهـا الأساتذة والعلماء فانتظمت أحوالها •

ومن أساتذة المدرسة النظامية ببغداد الشيخ أبو اسحق الشيرازى صاحب كتاب التنبيه (١) فى الفقه على مذهب الشافعية وهو عالم جليل أحيا من العلم مادرس وكشف من الحق ما التبس، وشرح الاصول وفرعها، وأوضح الادلة ونوعها ، وكان لمكتبة المدرسة النظامية ببغداد فهرس واف دقيق يحتوى على نحو ستة آلاف مجلد وهى موقوفة على تلك المدرسة •

وأنشأ فى كل قرية ومدينة مدرسة للعمل على نشر العـلم والدين وأمدها بالكتب والمال والمدرسين • قال أبو شامة فى كتاب الروضتين : « ومدارس نظام الملك فى العالم مشهورة لم تخل بلد من شىء منها » وهى تمثل المدارس فى القرون الوسطى وقد أنشأ مدرسـة فخمة فى كل من البلاد الآتية :

بغداد ، وبلخ ، ونيسابور ، وهرات ، وأصفهان ، والبصرة ، ومرو ، وآمل ، والموصل • وكان فى كل من مدن العراق ومدن خراسان مدرسة لنظام الملك وحاكاه غيره من المسلمين فى انشاء المدارس فانتشرت فى القرى والبلدان والعواصم الكبيرة فى البلاد الاسلامية •

ولم تنشأ فى مصر مدارس الا بعد أن انتهت دولة الفاطميين وقامت دولة الأيوبيين • ففى عهد الدولة الأيوبية انتشرت المدارس كثيرا فىمصر كما انتشرت فى سـورية وظلت تنتشر فى عصر المماليك • وكان لنور الدين زنكى الذى صار ملكا لسورية بعد انتهاء عهد السلاجقة ميل كبير لرعاية الثقـافة والعلوم وكان للعلماء عنـده مجلس عظيم وكان يجمعهم عنده للبحث والمناظرة واستقدمهم اليه من البلاد الشاسعة الأطراف •

والفرق بين المدرسة والمسجد لا يذكر فالمسجد كان للعبادة والتعليم والنظر فى القضايا ومظالم الناس وبالمثل كانت المدرسة غير أنها كانت معدة للدراسة واقامة الطلبة المتفرغين وقد تنافس الخلفـاء والأثرياء من

---

(١) طبقات الشافعية جـ ١ ص ٢٥

من المسلمين فى جميع أنحاء العالم الاسلامى فى انشاء المدارس منذ القرن الحادى عشر الميلادى • ويظهر الفن الاسلامى فى مبانى تلك المدارس وخصصت بها أوقاف كثيرة للانفاق منها على من بها من الفقهاء والطلبة والموظفين وكان الطلاب يسكنون فى أقسامها الداخلية كما يحدث الآن فى جامعتى اكسفورد وكمبردج •

٢ ـ المدرسة المستنصرية ببغداد :

وتعد المدرسة المستنصرية التى أنشأها الخليفة المستنصر ببغداد فى القرن الثالث الميلادى من أعظم المدارس الاسلامية• وقد بذل فى تشييدها كثير من المال مما يدل على عناية المسلمين بالتربية والتعليم وتقديسهم للعلم والعلماء • وكان بها قاعة للمحاضرات لكل مذهب من المذاهب الأربعة ، ولكل مذهب أستاذ خاص ، وكان الطالب يتعلم بالمجان فيها ويتسلم دينارا من الذهب كل شهر وتزود المدرسة طلبتها باللحم والخبز كل يوم • وكان بها مكتبة غنية تشتمل على كتب كثيرة فى جميع العلوم، كى يتمكن الطلبة من الاطلاع على ما يشاءون منها وجعل فيها ما يحتاج اليه من الورق والمداد لاستعمالها وانتفاع المطلعين والناسخين بهما • وكان بها حمامات للاستحمام ومستشفى به طبيب لمعالجة الطلاب •

٣ ـ المدرسة الناصرية بالقاهرة :

وقد ذكر المقريزى ، ان السلطان العادل زين الدين كتبغا المنصورى بدأ فى بناء المدرسة الناصرية بالقاهرة وأتمها السلطان محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣ هـ وقال : انها من أجمل مبانى القاهرة وبابها من أعجب ما عملته أيدى بنى آدم وذكر أيضا عن المدرسة الطيبرسية أنها أنشئت بجوار الجامع الازهر سنة ٧٠٩ بالقاهرة •

وقد قامت الدولة الأيوبية بانشاء كثير من المدارس فى مصر واشترك المصريون فى انشائها وأسهم السكان حتى الخدم فى بنائها رغبة فى نشر العلم والتعليم بين المسلمين • وكان فى كل مدرسة مكتبة تزود بالكتب كى يسهل على الطلبة الاطلاع •

وانتشرت المدارس فى مصر وسورية وبغداد وشجع الخلفاء والمسلمون التعليم بكل وسيلة •

ومن المدارس التى أنشأها الملك الزاهد نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكى :

٤ ـ المدرسة النورية الكبرى بدمشق :

وقد زارها ابن جبير ونذكر هنا ما وصفها به مع قليل من التصرف: « من أحسن مدارس الدنيا مظهرا مدرسة نور الدين رحمه الله ٠ وهى قصر من القصور الأنيقة ينصب فيه الماء وسط نهر عظيم وفيه كل ما يحتاج اليه معهد علمى للدراسة العالية ٠ وهو مزود بقسم داخلى كامل المرافق ، وتبعد تلك المدرسة عن الجامع الأموى بدمشق بنصف ميل تقريبا ٠ ومساحتها ١٥٠٠ متر مربع بالتقريب ٠ وبها بيت خاص لمدرس المدرسة ، وأهم مكان بها قاعة المحاضرات ، وهى قاعة كبيرة تسع عددا كبيرا من الطلاب ٠٠ وبالمدرسة مسجد مفتوح لمن يرغب فى العبادة ٠ وهناك استراحة للمدرسين ومساكن للطلبة المقيمين بالقسم الداخلى ومسكن لخادم المدرسة ودورة للمياه ومخزن للأدوات الزائدة بالمدرسة» ٠

ويعد ظهور المدارس أهم محاولة فى الانسلام لتنظيم الدراسة والتربية والتعليم فى البلاد الاسلامية وتوفير وسائل التفرغ لطلب العلم بتقديم المساعدات المالية للطلاب وتزويد تلك المدارس بالأساتذة الممتازين والكتب النادرة ٠